الفصل الأول

مدخل الدراسة

- تمهيد.
- مشكلة الدراسة .
- أهمية الدراسة وأهدافها .
- مصطلحات الدراسة.
- المنهج و الاجراءات .

تمهيد :

نظراً لقدم التعامل مع الأفكار الاجتماعية وحداثة الجهود ا لنفسية المبذولة لدراسة السلوك الاجتماعى الإيجابى بشكل عام والتسامح بشكل خاص فسيعرض الباحث لجانبين أساسيين فى مدخل هذه الدراسة وهما على النحو التالى :ـــ

(أ) الاهتمام بالأفكار الاجتماعية الإيجابية من منظور تاريخى.

(ب) الجهود التى تمت من وجهة النظر النفسية لدراستها.

(أ) الاهتمام بالأفكار الاجتماعية الإيجابية من منظور تاريخى.

اهتم الفلاسفة منذ ما قبل أرسطو بهذه السلوكيات الاجتماعية الإيجابية ، ويتضح ذلك من خلال ما قدمه المصريون القدماء من قواعد أخلاقية، ونقشوا على قبور موتاهم وصاياهم بالخير للآخرين. ، ثم درسها "أرسطو Aristotle" فى ثنايا كتابه " الأخلاق لنيقوماخوس "، كما درسها العديد من الفلاسفة الذين اهتموا بمدلولها النفعى فى المدارس الفلسفية اليونانية القديمة أمثال البرقاويين أتباع "أرستبوس Arestobus "(٤٣٥ق.م.ـــ ٣٥٦ ق.م.) حيث يذكر أن كل الخير يخضع للذة والمتعة ، وكذلك الأبيقوريون أتباع "أبيقورس Abiecorus"(٣٤٢ق.م. ـــ ٢٧٠ق.م.)، كذلك النفعيون الجدد أمثال "توماس هوبز T.Hobs "، "وجون لوك J.Lock"، "وجرمى بنتام J.Bentham" ، "وجون ستيوارت مل J.S. Mill ". ويناصر أتباع المذهب النفعى المذهب الأكثر غيرية وإنسانية، حيث كانوا يرغبون فى تحقيق السعادة أو المتعة للمجتمع وليس لأنفسهم فحسب. (بورتون، ١٩٩٣، ص. ص. ١١٩ـــ ١٥٠ بتصرف)

كما يتضح هذا الاهتمام بهذه السلوكيات لدى "كانت E.Kant " فى كتاباته مثل "تأسيس ميتافيزيقا الأخلاق" . "ونظرة إلى التاريخ العام بالمعنى العالمى "والذى يقر فيه بوجود استعدادات اجتماعية لدى البشر ولكنه يركز على الاستعدادات غير الاجتماعية (عماد عبد السلام رؤوف، ١٩٨٦، ص.٧٣).

وفى الفكر الاسلامى تم التركيز على الأفعال التى تزيد من تماسك المجتمع فى التراث والحكم والمأثورات العربية التى تعبر عن أخلاقيات الدين أمثال " أدب الدنيا والدين" "للماوردى" الذى قسم أفعال المعروف كأحد أسباب المحبة والألفة بين الناس ؛ و"الأدب فى الدين" المنسوب للإمام "الغزالى" ؛و "رياض الصالحين" للإمام "النووى" ، وتم التركيز فيها على آداب اصطناع المعروف وشروطه وما يساند ذلك من أحاديث نبوية، وآيات قرآنية كريمة، هذا فضلا عن ما ذكره أبو حيان

التوحيدى فى رسالته عن الصداقة والصديق، وما ذكره "إخوان الصفا وخلان الوفا" فى مأثورا تهم عن الصداقة والخلان التى وردت فى رسائلهم.(الماوردى، ١٩٨١؛الغزالى ،١٩٩٦؛ التوحيدى ،١٩٩٧؛ النووى ،١٩٧٥). بالإضافة إلى المحاولات التى قام بها الفقهاء المهتمين بأصول الفقه وخاصة الفكر المقاصدى منهم مثل الإمام الشاطبى(١٩٧٥)، والطاهر بن عاشور(١٩٤٧) وغيرهما، من أجل تأصيل مفهوم السماحة فى إطار الشريعة الاسلامية.

(ب) الجهود التى تمت من وجهة النظر النفسية لدراسة السلوك الاجتماعى الإيجابى بشكل عام والتسامح بشكل خاص

اهتم العلماء بالسلوكيات الاجتماعية ضمن اهتمامهم بدراسة الاستجابات الاجتماعية فى ارتقاء الأطفال فى السنوات الخمس الأولى من العمر مثل دراسات إيمز Aims ١٩٥٢، ١٩٤٦،دراسات جيزل وإلج A.Gesell & Elg ١٩٤٦، وخاصة دراسة "ميرفى " Murphy وآخرون ١٩٣٧ ، وجان بياجيه Piaget ١٩٣٢والذى ذكر فيها مفهوم التمركز فى الذات Egocentrism * لأول مرة واللافت فى هذه الدراسات وجود ارتباط إيجابى بين الصداقة والشجار فى دراسة مورفى ١٩٣٧. (سويف، ١٩٧٠، ص ص ١٨٨ــ٢٢٦). وقد بدأت بجهود فرويد فى دراسته عن الحضارة ، وكذلك فى المجتمع العلاجى وظهور حالات الإيثار المرضى Pathological Altruism .

(Yarrow et al. 1983, p. 471)

ويعتبر مفهوم التسامح من المفاهيم المحيرة، نظراً لتعدد أشكاله دينياً، و سياسياً، و فكرياً.ويلعب دوراً أساسياً فى التعامل مع الآخرين. وهو ضمن السلوكيات الإيجابية التى تنبه العلماء للنظر له بصورة إيجابية لأنه إذا سادت اتجاهات التسامح، والمودة والتعاون بين أعضاء الجماعات فى مجتمعات معينة، من دون تمييز ولا تفضيل، فسنجد الاستقرار النفسى والاجتماعى هو السمة المميزة لهذه المجتمعات مما ينعكس فى نهاية الأمر إيجابياً على الصحة النفسية لأبنائها. و التسامح فى جوهره تحمل الاختلاف مع الآخر بما يمثله من عبء يقابله الفرد عند تعامله معه المختلف عنه ومع التنوعات المحيطة بسلوكه. والنظرة الإيجابية للتسامح تنبع من كونه أحد أبعاد السلوك الاجتماعى، فالجانب الإيجابى الذى تتبناه الدراسة الحالية يتخطى جانب ما وراء التحمل أى إلى ما وراء الإطاقة أو المقاومة، أى إلى التسامح بمعنى التعامل الودى الإيجابى العام مع المختلفين ومع التنوعات Diversity الشديدة فى كل ما يتصل بالمرء بل وإمكانية الدفاع عن حقوق هؤلاء المختلفين مما يحقق القبول والغفران.وبما يحقق له

---

* يترجم أ.د. مصطفى سويف هذا المصطلح بالتمركز فى الذات (انظر مصطفى سويف، ١٩٧٠، ص. ٣٩٨) فى حين ترجمه كل من أ.د.محمد عماد الدين إسماعيل ، وأ.د. علاء الدين كفافى بالتمركز حول الذات (أنظر كل من :م.ع. اسماعيل ، ١٩٨٦،ص.٢٢٦ومابعدها. ، وكذلك، ع. أ. كفافى ، ١٩٩٧،ص.٢٤٢).

الصحة النفسية كمطلب أساسى وحيوى للإنسان الذى يعيش وسط كم من المتناقضات ويقع عليه عبء تحملها وتقبلها.

ويدرس التسامح باعتباره أحد مكونات السلوك الاجتماعى الإيجابى Prosocial Behavior وهو قدرة الفرد على تحمل الآخرين والتعامل معهم بود وأريحية و إجزال العطاء لهم ، ويعد فى هذا النطاق سلوكاً إيجابياً مثله فى ذلك مثل المشاركة، والمساعدة، والإيثار قد تم تحديد الجوانب الإيجابية التى تربط التسامح بالسلوك الاجتماعى الإيجابى فى الثقافة العربية المصرية فى دراسة سابقة للباحث، كشف فيها عن ارتباط عال بين مكون التسامح وباقى مكونات السلوك الاجتماعى الإيجابى المتمثلة فى أبعاد أو مكونات: المشاركة، والمساعدة، والإيثار(شحاته زيان، ٢٠٠١) بالإضافة إلى إعتباره منتج من منتجات النمو الأخلاقى باستخدام نماذج لكل من لورانس كولبرج ، وجيمس رست، وبرابيك (Guthrie,V.,1997)

وبمراجعة التراث النفسى العربى والعالمى للتسامح نجد العديد من القضايا التى تثار حول هذا المفهوم، وأحد هذه القضايا هى: هل مفهوم التسامح له جذور فى التراث العربى الإسلامى؟ وهذا الأمر فى غاية الاهمية نظراً لأن التسامح لب الأديان، ولهذا سيقوم الباحث بعرض إشكالية وجود التسامح فى التراث العربى الاسلامى وما ترتبط بها من قضايا، والاتجاهات الفكرية التى تناولته.

والتسامح كأحد متغيرات السلوك الاجتماعى الايجابى جاء ت دراسته من قبل الأديان من بـــاب الغفران والصفح و لم تهتم الدراسات النفسية به إلا حديثاً. ويمكن ذكر بعض إسهامات النظريـــات المعرفية الارتقائية فى دراسة هذا السلوك:

- **النظريات المعرفية الارتقائية (بالدوين، و بياجيه):**

ميز **"بالدوين"** Baldwin **١٨٩٧** بين عدة مراحل ارتقائية متعاقبة فى فهم الأطفال للآخـــرين. ورأى **"جورج هر برت ميد"** Mead **١٩٣٤** أن فهم الذات والآخر يرتقى فى تفاعل يتضمن تواصلا رمزياً حيث على المرسل لرسالة ما أن يأخذ دور المستقبل لهذه الرسالة . وقَبل **"جـــان بياجيـــه"** Piagetما قال به بالدوين من أن الوعى بالذات ينشأ عن العلاقة بالذوات الأخرى ، ثم قدم مفهـــوم التمركز فى الذات . و قد **تأثر "كولبرج"**Kohlberg بآراء كل من "هربرت ميد"، و"جان بياجيه" وطور نسقا ارتقائياً للاستدلال الأخلاقى. وقد لاحظ "ميوسن وأيزنبرج" Mussen & Eisenberg. ١٩٧٧، اهتمام كل من "بياجيه" و"كولبرج" بالاستدلال الأخلاقى المتعلق بـــالقوانين ، القواعـــد ، السلطة ، المسئولية ، العدالة ، والعدل . (Yarrow, *et al.* 1983, p. 472)

أهمية الدراسة :-

بالنظر لما يكتنف دراسة سلوك التسامح من صعوبات على المستوى العالمى، والإسلامى بعيـــداً عـــن البعد الدينى الذى يعد أبرز وجوه دراسة التسامح على المستوى العربى حيث ارتبط أساساً بـــسماحة

الاسلام مع أصحاب الديانات الأخرى وأهمية أن التعامل بحسن مع المختلفين دينياً ومحاولة العمل على عرض صورة دينية إيجابية عن الفرد المسلم فى تعامله مع المختلفين فى العقيدة (يوسف القرضاوى، ١٩٧٧؛ محمد الغزالى، د.ت.، السيد المخزنجى، ٢٠٠٢؛ محمود حمدى زقزوق، ٢٠٠٤) ، وندرة دراساته النفسية والاجتماعية والثقافية فى المحيط العربى، إذ أن دراسات التسامح فى مجال علم النفس ـــ كما وجد الباحث ـــ محدودة بشكل كبير مما يدعو لحث الباحثين على العمل على تناوله ودراسته من مختلف الزوايا، هذا بالإضافة إلى ما أحدثه الخلط بين المعنى الطبى الفزيولوجى والمعنى النفسى والاجتماعى ـــ لارتباط المعنى الطبى بالتعامل مع العقاقير ومقدار تحمل الجسم لخصائص دواء أو عقار معين ـــ من تخوف كبير فى تناول المفهوم، فضلاً عن ارتباط هذه الدراسات بدراسات تعاطى المواد النفسية بشكل خاص مما يزيد الأمر خلطاً.

أهداف الدراسة :ـ

تتمثل أهداف الدراسة الحالية في :ـــ

١) الكشف عن العلاقات المتنوعة بين التسامح والسمات النفسية الشخصية المختلفة والوقوف على أشكال التغير الارتقائى في هذه العلاقات من حيث الكيف والكم وذلك في المسار الارتقائى من مرحلة المراهقة الوسطى حتى بدايات الرشد.

٢) الكشف عن صور التغير الارتقائى في مكونات التسامح لدى كل من الذكور والإناث في عينة الدراسة.

٣) الكشف عما يعتور كل مكون أساسى للتسامح من تذبذبات خلال المسار الارتقائى من مرحلة المراهقة الوسطى حتى بدايات الرشد .

٤) الكشف عن مدى ارتباط التسامح بكل من التفهم، و الحالة المزاجية.

مشكلة الدراسة :ـ

تتحدد مشكلة الدراسة الحالية في التساؤلات التالية :ـــ

١) ما مظاهر التغير التى تطرأ على المكونات الأساسية للتسامح ومقدار ما تسهم به في تشكيله في المسار الارتقائى من مرحلة المراهقة الوسطى حتى بدايات الرشد ؟.

٢) ما سمات وأبعاد الشخصية المرتبطة بمظاهر التسامح خلال المرحلة المدروسة ؟

٣) ما مظاهر التغير (كما ونوعا) التى تشكل أهم التمايزات بين الذكور والإناث في المسار الارتقائى من مرحلة المراهقة الوسطى إلى بدايات الرشد ؟

من خلال ما سبق يمكن تحديد متغيرات الدراسة فيما يلى:

١. التسامح وهو سمة من سمات الشخصية تتضمن اتجاهاً ليبراليا متحرراً نحو تحمل ، وتقدير، وقبول، تنوعات الآخرين المختلفين والمتفقين مع إظهار الود ، والاحترام ، والسماحة الحقيقية وغير المصطنعة لهم وما يؤمنون به من معتقدات، ومع وما يظهرونه من سلوكيات، مع المشاركة فى أنشطتهم، وغفران اساءتهم.

٢. سمات وأبعاد الشخصية: وهى فى هذه الدراسة تمثل العوامل الخمسة الكبرى للشخصية Big five factors of Personality مجموعة السمات التى يتضمنها الأنساق البُعدية العاملية مثل أنساق "كوستا وماكراى"، و"جولدبرج"، بما تتضمنه من أبعاد: العصابية بمكوناتها، والانبساط بمكوناته، والطيبة ومكوناته للصرامة واللين، والفكر أو الانفتاح، ويقظة الضمير، ، والسمات لمكونة للاتجاهات الاجتماعية للمحافظة والتحرر.

٣. **التفهم:** وهو القدرة على إدراك حالات الآخر الوجدانية والمعرفية بحيث يستجيب ويتفاعل معه بشكل متزن.

٤. **الحالة المزاجية** : وهى الحالات المزاجية والانفعالية التى غالبا ما يكون عليها الفرد أثناء تسامحهم مع الآخرين مثل حالات الضيق والكآبة ، والفرح والبهجة.

٥. **دوافع التسامح** Motivations of Tolerance، وهى تتراوح بين أخذ الثأر، والتقبل للخلافات والمختلفين، والتعامل معهم.

٦. **مترتبات التسامح** Tolerance Consequences، وهى النتائج التى تعود Feedback على الفرد فى اتجاهى: علاقته بذاته ونفسه؛ و علاقاته بالآخرين.

٧. **ظروف التسامح والعفو** Tolerance and forgiving Circumstances وهى المواقف النوعية التى تحمل العديد من الحالات التى يتعامل فيها الفرد بتسامح، والظروف التى تحيط بسلوكه، والخصائص التى يراها مؤثرة فى سلوكه من منظورين: الأول، فى حالة قيامه بالإساءة للآخرين، الثانى، فى حالة الإساءة إليه من الآخرين.

٨. البيانات الديموجرافية الأساسية (العمر ــ النوع ــ مكان الإقامة ....الخ.

المصطلحات المستخدمة فى الدراسة:

- **سلوك التسامح:** Tolerant Behavior **وهو أحد أشكال السلوك الاجتماعى الإيجابى** Positive Social Behavior.
- **التفهم:** Empathy .
- **دوافع التسامح** Motivations of Tolerance

- الحالة المزاجية: Mood.
- مترتبات التسامح Tolerance Consequences
- مؤشرات العوامل الخمسة الكبرى للشخصية Markers of Big five factors of Personality
- ظروف التسامح والعفو Tolerance and forgiving Circumstances
- المنحى الارتقائى فى دراسة المتغيرات.

يفترض فى سلوك التسامح المدروس فى هذه الدراسة، أن تتباين درجاته فى ضوء عاملى العمر، والجنس من المراهقة الوسطى حتى البدايات الرشد وهى الفترة الارتقائية التى تحددت للدراسة. وكذلك تتباين درجات المقاييس الفرعية للتسامح ، وسمات الشخصية، فى ضوء نفس العوامل. بالإضافة إلى توقع وجود فروق دالة إحصائيا بين عينتى الذكور والإناث على متغيرات الدراسة. ويمكن التوصل إلى تبلور نمط عام و" بروفايل" مميز للشخصية المتسامحة.

منهج الدراسة وإجراءاتها:

تهدف هذه الدراسة لاستطلاع علاقة بعض المتغيرات النفسية (أبعاد الشخصية)بالتسامح على نحو ارتقائى عبر مراحل عمرية تبدأ بمرحلة المراهقة بكل مستوياتها إلى بداية مرحلة الرشد، ومقارنة بين الجنسين عبر المراحل العمرية التى تشملها الدراسة. وتمثلت هذه المتغيرات فى: التسامح بأبعاده الثلاثة (التحمل، و القبول، والصفح أو الغفران)، والتفهم ، والحالة المزاجية، وظروف ومواقف العفو والتسامح، ومترتبات التسامح، ودوافع التسامح، و مؤشرات العوامل الخمسة الكبرى فى الشخصية. فضلاً عن العوامل الديموجرافية كالنوع والعمر.

إجراءات الدراسة:

أ- العينة المقترحة للدراسة:

سيتم الاستعانة بعدد من طلبة وطالبات المدارس الثانوية العامة، وطلبة وطالبات الجامعة يتوافر فيها شروط المكافأة والمقارنة بعدد (٢١٤) للعينة الاستطلاعية، (٣٣٦) للعينة الأساسية مقسمة بين الذكور والإناث تتراوح أعمارهم بين (١٤ إلى ٢٢ سنة) متفاوتى المستويات الاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية، والتعليمية. وهى تمثل مراحل الارتقاء التالية : المراهقة الوسطى، والمراهقة المتأخرة، والرشد المبكر.

الأدوات :-

سيتم الاستعانة بالأدوات التالية لإجراء القياسات اللازمة:ـــ

مقياس التسامح. (من إعداد الباحث).

مقاييس التفهم والحالة المزاجية. (من إعداد الباحث).

مقياس "لويس جولدبرج" عن مؤشرات العوامل الخمسة الكبرى فى الشخصية Markers of Big Five Factors of Personality المتطور عن مقياس "العوامل الخمسة الدائرى اللغوى المختصر AB5C بعد الإعداد اللازم له فى البيئة المصرية بهدف وضع مقياس ذى خصائص لغوية مختصرة ومباشرة للعوامل الخمسة الكبرى فى الشخصية.

سيتم التطبيق بصورة جمعية إلا فيما إذا تطلبت طبيعة الاختبار غير ذلك، وفى كل الأحوال ستراعى الشروط الواجبة لضبط موقف التطبيق.

التحليلات الإحصائية:-

سيتم تحليل البيانات باستخدام الأساليب الملائمة بما يمكننا من اختبار فروض الدراسة، وتشمل على مقاييس النزعة المركزية، ومعاملات الارتباط، مقاييس الدلالة الإحصائية، تحليل التباين، التحليل العاملى بالطرق المناسبة لطبيعة المتغيرات موضع الدراسة.